مصداقية رواية قيصر وتاكيتوس لخطبتى ليتافيكوس وفيبولوس

د. محمد رضا قطب علام

كلية الآداب – جامعة عين شمس

يهدف هذا البحث إلي إلقاء الضوء علي مصداقية الخطبة المباشرة (oratio recta) التي أوردتها روايتا المؤرخين الرومانيين: يوليوس قيصر (Julius Caesar) الذي بدأت علي يده نهاية نظام الحكم الجمهوري في روما- وتاكيتوس (Tacitus) الذي عاش في أوائل عصر الإمبراطورية الرومانية .

أما عن المنهج الذي اتبعناه فيه فهو الدراسة المقارنة لكل من الخطبتين المباشرتين: الخطبة التي ألقاها ليتافيكوس (Litaviccus)، والخطبة التي ألقاها فيبولينوس (Vibulenus)، يسعى كل منهما فيها إلي إشعال حماسة جنوده بما يلقيه من مزاعم للثورة علي الرومان والخروج عليهم وشق عصا الطاعة. و أُدرجت الخطبة الأولي في الفصل الثامن والثلاثين من الكتاب السابع للمؤرخ يوليوس قيصر "عن الحرب الغالية" (De Bello Gallico)، ووردت الثانية في الفصل الثانى والعشرين في الحولية الأولي (Annal 1) للمؤرخ تاكيتوس.

وغايتنا في هذا البحث تتجه نحو الكشف عن ملامح الاتفاق والاختلاف في نص كل من الخطبتين علي النحو الذي وردت به في رواية كل من المؤرخين من حيث أسلوب الخطبة المباشرة ونظامها من ناحية، ومدى مصداقية كل منهما من ناحية أخري .

لقـد تناولتْ بعض الدراسات السابقة أسلوب كل من المؤرخين بعامـة، وأسلوبهما في نقل الخطبة المباشرة بخاصة[١]، منها علي سبيل المثال لا الحصر- دراسة رازموسين (Rasmussen)[٢] ، ومنها كذلك دراسة أيزنهاردت (Eisenhardt)[٣] . أما عن الدراسة الحالية ، فتوجه كـامل عنايـتها إلـي دراسة أسلوب نقل الخطبة المباشرة لدي كل من المؤرخيـن: قيصـر وتاكيتوس- دراسة مقارنة، كما تُعني بالكشف عن مدي مصداقية خطبة كل منهما .

سـوف يبـرز هـذا البحث في المقـام الأول السمات المميزة لأسـلوب قيصر وتاكيتوس النثري- بوصفهما مؤرخين - هذا الأسلوب الـذي بلـغ ذروة تطـوره علي النحو الذي تمثل في روايتهما للخطبة المباشـرة مـن حيث طابعها البلاغي[٤] وتلك الخطبة التي ألقاها وعبر عـنها بكلامه أشخاص عاديون من أمثال ليتافيكوس وفيبولينوس، الذين كان لهما دور هام وبارز في مسار الأحداث التاريخية.

سـوف يوضح هذا البحث كذلك أسلوب رواية الخطبة المباشرة لدي كل من قيصر وتاكيتوس من حيث مدي ما تعكسه هذه الروايات من الـتزام بأسس كتابة التاريخ المتفق عليها آنذاك وقواعدها . تلك الأسس التـي يذكرها شيشرون (Cicero)[٥] بوصفها أسسا عامة وقواعد أولية لكـتابة التاريخ تبين ما يجب أن يتحلى به كُتاب التاريخ في المقام الأول من الصفات الأخلاقية التي تفوق مكانتها أي مهارة أخري أو قدرة علي إصدار الأحكام النقدية ويمكن إيراد هذه الأسس علي النحو التالي :-

أولاً: لا يجوز أن يقول المؤرخ شيئاً مزيفاً أبداً (ne quid falsi dicere audeat) .

ثانياً: لا يجوز أن يخفي الحقيقة (ne quid veri non audeat) ، أو أن تحتوي كتابته علي تحيز أو كراهية .(ne quae suspicio gratiae

(sit in scribendo , ne quae simultatis) ويتحدث شيشرون أيضا عن قواعد أخري ثانوية لكتابة التاريخ ، ويضرب أمثلة لها قائلا:عندما يصف كاتب التاريخ حادثة ما،يجب أن يعبر عن آرائه الشخصية بالنسبة للخطط الموضوعة في حيز التنفيذ والتي تم الموافقة عليها (de consiliis significari quid scriptor probet)

وعندما يكون له علاقة بالحدث ، فلا ينبغى أن يقول فقط : ماذا حدث وماذا قيل؟، ولكن يجب أن يقول كذلك : كيف حدث وكيف قيل ؟ (non solum quid actum aut dictum sit, sed quo modo)

وعندما يصف الكاتب نتيجة أو أثر لحدث ما سواء أكان يستدعي المدح أو الذم أو الحياد ، فإنه يجب أن يوضح السبب في وقوع ذلك الحدث . ولا ينبغى أن يذكر فقط مآثر الرجال الذين نالوا سمعة طيبة ، ولكن عليه كذلك أن يصف حياتهم السياسية وشخصياتهم أيضا.
(non solum res gestae , sed etiam , qui fama ac nomine excellant , de cuiusque vita atque natura)

سوف يعتمد فحص خطبة ليتافيكوس (Litaviccus) المباشرة عند قيصر وكذلك خطبة فيبولينوس (Vibulenus) المباشرة عند تاكيتوس – علي الأسس الأربعة الأساسية التي تتألف منها الخطبة (dispositio orationis)[٦] بوجه عام وهي المقدمة (exordium أو prooemium)، و سرد الوقائع (narratio)، والمعالجة (tractatio)، والخاتمة (peroratio).

كذلك يؤكد لنا أرسطو[٧] أن المقدمة كالمطلع في الشعر أو الاستهلال في العزف علي الناي لأن كلا منها يمثل بدايات وتمهيداً لما سوف يعقبه ، ويشير إلي مقدمات الخطب قائلا: "يجب أن ندرك أن لها نفس التأثير الذي تُحدثه مقدمات المسرحيات: (των δράματων of

(τῶν ἐπων τά προοίμια) ومقدمات الملاحم (πρόλογοι) إذ أن هذه المقدمات تكون دالة (δείγμα) علي موضوع الخطبة الذي سوف تطرحه[٨] . ويقول أرسطو كذلك بالنسبة لعرض وسرد وقائع الخطبة (narratio) التي تلي المقدمة: "يجب علي الخطيب ألا يثير فيها إلا ما يخص دفاعه. أي أن يبرهن فيها علي أن موضوع النزاع لم يحدث أو حدث بالفعل ولكنه ليس خطأ أو أنه لا جرم فيه ، أو ليس من السوء بالدرجة التي يتوهمها الخصم ، ويجب أن يتحدث في سرده للوقائع عن الأحداث التي وقعت بأنها وقعت في الماضي بوصفها أحداثا انصرمت وانقضت ، إلا إذا أراد منها إثارة الشفقة أو الغضب ضد الخصم ، فعندئذ تُروي بصيغ الحاضر" [٩] .

ويري أرسطو أن المعالجة (tractatio) يجب أن تشتمل علي البراهين والأدلة التي يقدمها الخطيب ويقول إنه من الضروري أن تعتمد البراهين التي يطرحها الخطيب في المعالجة علي القياس المنطقي لكي يقنع مستمعيه بصدق ما يقول[١٠]. وعندما يناقش أرسطو خاتمة الخطبة (peroratio) أو نهايتها[١١] ، فإنه يذكر أن الخاتمة واحدة في جميع أنواع الخطب المختلفة ، ولها أربعة أهداف هي: –

١- أن تجعل المستمع يصدق ما يُقال له ويستخف بالخصم .

٢- أن تُعظم من شأن الأمور أو تُقلل من أهميتها .

٣- أن تُثير عاطفة الجمهور من المستمعين .

٤- أن تُذكرّ المستمع بما قاله الخطيب في الخطبة .

يوليوس قيصر ومؤلفه "عن الحرب الغالية" De Bello Gallico:

كان جايوس يوليوس قيصر (Gaius Julius Caesar) مفكراً و سياسياً رومانيا ، وقائداً عسكرياً، ومنظماً إدارياً واقتصادياً، وكان

بالإضـــافة إلـــي ذلـــك خطيباً بليغاً ذا أسلوب أدبي رفيع رصين يمتاز بالوضوح والسلاسة والصفاء [١٢].

شقّ قيصر طريقه إلى مسرح السياسة الرومانية وتدرج فى سلك الوظائف الحكومية (cursus honorum) التى تؤهله للترشيح لمنصب القنصـــلية[١٣]، فنراه فى عام ٥٩ ق.م قد تقلد وظيفة القنصل بعدما عقد تحالفاً عسكرياً بينه وبين القائديـــن بومبيـــوس العظيـــم (Pompeius Magnus)، وماركوس كراسوس (Marcus Crassus)[١٤]. وبمقتضاه أُســـند حكـــم ولاية بلاد الغال جنوب الألب (Gallia Cisalpina) إلى قيصر لمدة خمس سنوات تبدأ من شهر مارس عام ٥٩ ق.م وتنتهى فى ٢٨ فـــبراير عام ٥٤ ق.م [١٥]. وبعد فترة قصيرة أُسند إليه حكم ولاية بلاد الغال عبر الألب (Gallia Transalpina) لمدة خمس سنوات طبقاً لاتفاق التحالف بينه وبين بومبيوس وكراسوس[١٦].

بدأ قيصر فتوحاته العسكرية لبلاد الغال [١٧]وكان يبلغ من العمر آنـــذاك الثالثة والأربعين، واستمرت لثماني سنوات استطاع من خلالها تحقـــيق انتصـــارات عســـكرية ومجد شخصى، وإقامة تنظيمات إدارية وعسكرية تم تدوينها في مذكرات أو تعليقات (Commentarii) لأحداث تاريخـــية سنوية كتبها قيصر بنفسه من وجهة نظره الشخصية، وأطلق علـــيها اسم "مذكرات عن تاريخ الحرب الغالية" (Commentarii de Bello Gallico) [١٨]. وتنقســـم هـــذه المذكرات إلي سبع كتب نشرها قيصـــر في حوالي عام ٥١ ق.م، بينما أضاف لها أحد ضباطه ويُدعي أولـــوس هيرتـــيوس (Aulus Hirtius) كتاباً ثامناً بتكليف من قيصر نفسه.

ويتناول كل كتاب من هذه الكتب السبعة انتصارات وأحداث وإنجازات عام واحد من أعوام القتال السبعة التي خاضها قيصر ، أما الكتاب الثامن فقد تناول أحداث عامي ٥١ و ٥٠ ق.م[١٩] .

غير أنه مازال أمامنا مجموعة من الأسئلة بحاجة إلي إجابة عنها محددة ومقنعة مثل : هل ألف قيصر الكتب السبع الأولي مرة واحدة أم ألفها علي فترات ؟ ومتي نُشرت هذه الكتب علي وجه التحديد؟[٢٠] .

يجدر القول بان قيصر لم يهتم كثيرا بالشخصيات في كتاباته ، إذ كان يذكر معلومات قليلة جدا عنها أو عن الشخصيات الثانوية في الأحداث ولا يصفها بهدف تحليلها وإنما بهدف توضيح مجري الأحداث المتعاقبة [٢١] .

يري دوري (Dorey) [٢٢] أن قيصر يتميز عن بقية كُتاب التاريخ القدماء باهتمامه بالأحداث التي تأخذ مجراها أكثر من اهتمامه بالشخصيات التي أدت إلي وقوع الأحداث ، ويتجلى ذلك بوضوح عندما يناقش دوافع الغاليين مثل رشوة الزعيم كونفيكتوليتافيس (Convictolitavis) ، وهو من قبيلة الأيدوي (Aedui) – الذي يحث شعبه علي العصيان والثورة ضد الرومان . وجشع لوكيوس فابيوس (L.Fabius) ، قائد المائة (centurio) وتهوره هو وزملاؤه الذين تجاهلوا مقتضيات النظام العسكري وتسببوا في الهزيمة التي لحقت بالرومان في جيرجوفيا (Gergovia) ذلك لأنهم كانوا يرغبون في الحصول علي أغلي غنيمة ، وكذلك الوطنية وحب الحرية التي جعلت الزعيم الغالي كوميوس (Commius) ينسي جميع الامتيازات التي حصل عليها من قيصر وولائه لروما من أجل أن يصبح زعيماً للثورة الوطنية .

الخطبة المباشرة المنقولة عند يوليوس قيصر:

أولاً: موضوع خطبة ليتافيكوس (Litaviccus):

في بداية عام ٥٤ق.م بدأت الثورات تشتعل في معظم بلاد الغال ضد الاستعمار والهيمنة الرومانية ، وما تتسم به من طغيان واستبداد وسلب ونهب للثروات[٢٣] .

لقد أقامت بعض القبائل الغالية البلجيكية اتحادا فيما بينها وتزعمت الثورة ضد الوجود الروماني. فمثلا، تزعمت قبيلة إبورونيس (Eburones) ثورة عنيفة ضد الرومان واستطاعت أن توقع جيشاً رومانيا في كمين بالقرب من بلدة أدواتوكا (Aduatuca)، وكذلك حاصرت قبيلة نيرفيي (Nervii) معسكرا رومانيا تحت إمرة كوينتوس شيشرون (Q. Cicero) ، وأوشكت علي الفتك به لولا أن قيصر تمكن من نجدته. وسرعان ما امتدت الثورات واندلعت نيرانها في بلاد الغال الوسطي حيث ثارت بعض القبائل الغالية وذبحت الرومان الموجودين هناك.

في عام ٥٢ق.م تزعم فركينجتوركس (Vercingetorix) ، وهو نبيل من قبيلة أرفرني (Arverni) – أعنف الثورات الغالية التي شهدها الرومان وأشرسها ، وكان يتمتع بشخصية قيادية مؤثرة ، وموهبة خطابية فذة، لذلك تجمع حوله النبلاء الغاليون ، وتحالفت معه معظم القبائل الغالية ونادت به ملكاً .

كان قيصر قد عهد بالسلطة العليا وإدارة شئون الـ أيدوي(Aedui) – وكانت من أقوي القبائل الغالية الحليفة لروما– إلي كونفيكتوليتافيس (Convictolitavis)، وهو من أبرز نبلائها ، ولكنه تلقي رشوة كبيرة من قبيلة أرفرني المعادية للرومان ، التي كان يتزعمها

النبيل الثوري فركينجتوركس ، وذلك من أجل أن يؤلب الـ أيدوي علي الـرومان ليـثوروا ضدهم . وكان كونفيكتوليتافيس علي اتصال وثيق بالنـبلاء الشـباب الذين ينتمون إلي العائلات العريقة ، وعلي الأخص بالنبـيل الشـاب ليتافيكوس (Litaviccus) وأخويه . ووزع ليتافيكوس الرشـوة التي كان قد حصل عليها بدوره من الـ أرفرني- علي هؤلاء النبلاء ، وأخبرهم أن الواجب يناديهم بتوحيد أرض الـ ايدوي مع بقية الأراضي الغالية لكي يتحرروا جميعا من الاحتلال الروماني .

قـاد ليتافيكوس حملة عسكرية تتألف من عشرة آلاف مقاتل من الجـنود الـ أيدوي المشاة متجها إلي مدينة جيرجوفيا(Gergovia) – وهـي بلـدة تابعـة لـ أرفرني. وبعد مرور عشر ساعات من التحرك العسـكري تجاه جيرجوفيا ، توقف ليتافيكوس وألقي خطبة عصماء أمام قواتـه[٢٤] ، بدأهـا بالبكاء (lacrimans) ، وفيها أخبرهم أنه قد عرف فجأة أن الرومان قد اغتالوا جميع فرسانه وجميع النبلاء الشبان وزعماء الدولـة بـتهمة الخيانة العظمي. وقدم لهم الشهود الذين أحضرهم حيث أقسموا علي صحة أقواله وأضافوا إلي روايته المزيد من التفاصيل .

ثانياً: تركيب الخطبة (dispositio orationis):

تهـدف خطـبة ليتافـيكوس إلـي إثـارة همة الجنود الغاليين ومشاعرهم من أجل القيام بالثورة والانقلاب ضد المستعمر الروماني ، وهـي خطـبة منمقة ومحبوكة ، ويتبع تركيب خطبة ليتافيكوس نظرية أرسـطو [٢٥] فـيما يتعلق بتركيب الخطبة وبنائها وقد ذكرها شيشرون أيضا في كتابه "الخطيب" [٢٦] ، وهي تنقسم إلي أربعة أجزاء رئيسية علي النحو التالي :

١- المقدمة (exordium) :

توضـــح طبيعة الموضوع الذي سوف تطرحه في الخطبة وهو إثـــارة ليتافيكوس لمشاعر جنوده. فمثلا ، بدأ ليتافيكوس خطبته بالبكاء لإثـــارة مشـــاعر جـــنوده[٢٧] الذيـــن تجمعوا حوله وقال لهم من خلال الســـــؤال البلاغـــي الاستفســـاري (rhetorica quaestio): إلي أين سوف نسير (quo proficiscimur).

٢- سرد الوقائع (narratio) :

أخبر ليتافيكوس جنوده بأن الرومان قد قتلوا جميع فرسانهم، وجميع نبلائهم وزعماء دولتهم: إبوردوريكس (Eporedorix) وفيريدوماروس(Viridomarus)[٢٨] بعد إدانتهم بتهمة الخيانة العظمي . (insimulati perditionis ab Romanis indicta causa)

ولم يذكر لهم ليتافيكوس مصادر معلوماته وكذلك لم يوضح لهم الظروف والملابسات التي أحاطت بهذه الأحداث وكيف أدت إليها .

٣- المعالجة (tractatio):

أحضـــر ليتافيكوس شهودا ليؤكدوا صدق أقواله ومزاعمه حيث ادعـــوا أن الـــرومان قـــد أساءوا فهم أحاديث الـــ أيدوي (Aedui) مع الثائريـــن مـــن أهـــل أرفرنـــي (quod collocuti cum Arvernis dicerentur) ضـــد الرومان ، واستخدموها كدليل قوي وذريعة لإدانة الـــــ أيـــدوي واتهامهم بالخيانة العظمي. وكان ليتافيكوس يهدف بدليله وبرهانه علي صدق مزاعمه الذي يتمثل في الشهود الذين ساقهم (haec ab his cognoscite) إلـــي إثارة الشك في أذهان مستمعيه من الجنود لكـــي يهتاجوا ويندفعوا للثورة ضد الرومان . وهذا بالطبع يعتبر تمهيداً لخاتمة خطبته .

٤- الخاتمة (peroratio):

حث ليتافيكوس جنوده لقتل الرومان اللصوص (atque hos latronos interficiamus) بعد أن ذكر لهم الدوافع المذكورة في سرد الوقائع (narratio) .

ثالثاً: العناصر البلاغية في خطبة ليتافيكوس (Litaviccus):

تتميز خطبة ليتافيكوس بوجه عام بلغتها البليغة الواضحة المعبرة ذات الأسلوب البسيط الصافي ، وتلعب العناصر البلاغية دوراً بارزا فيها . فهي تتحلي بالمحسنات البديعية والصور البلاغية فمثلا تبرز الـ أنافورا (anaphora) [٢٩] هنا في تكرار الصفتين : "omnis... omnis" وكذلك تظهر في الخطبة بعض الألوان البلاغية ذات المغزي والدلالة مثل التورية والتصعيد ، فالتورية (ambiguum) [٣٠] ، وهي المعني المزدوج للكلمة تتضمن في كلمتي (quo proficiscimur?) بمعني إلي أين سوف نسير ؟ اللتين تشكلان السؤال البلاغي الاستفساري[٣١] ،ثم توضحها الجملة التالية التي تحتوي علي التصعيد (gradatio)[٣٢]، وهو الإعلاء بأمر ما وإعطاؤه أهمية كبري مثل اغتيال الفرسان ثم النبلاء ثم زعماء الدولة : (omnis noster equitatus , omnis nobilitas interiit principes civitatis, Eporedorix et Viridomarus... interfecti sunt).

جدير بالملاحظة أن الكلام المباشر يُقطع في الخطبة ويتوقف عند استدعاء الشهود حيث يقدم الكلام غير المباشر (oratio obliqua) الدليل علي صدق مزاعم المتكلم، وبعد ذلك يبدأ الكلام المباشر مرة أخري لإثارة مشاعر الجنود المتجمعين نتيجة لذلك الدليل . إذ يحدث الانتقال (transitio) إلي الكلام المباشر عندما يتم تفسير الموقف وعندما يبدأ المتحدث الكلام .

يستخدم قيصر زمن المضارع في الخطبة المباشرة لأنه يساعد في التعبير عن سرعة الحدث في وقت حدوثه ، إذ يوظف زمن المضارع التاريخي و (historica praesens) ، وكذلك أداة ربط الجمل "cum" بمعني عندما ، والتي تستخدم في زمن المضارع التاريخي وتقدم حدثاً فجائياً وغير متوقع . كما يستخدم قيصر أيضا الكلمة الدالة علي التمهيد "proinde" في أسلوب الحثّ (exhortatio) .

تزخر خطبة ليتافيكوس (Litaviccus) بالمحسنات البديعية مثل السجع (alliteratio) والجناس (homoioteleuton) التي تصنع تآلفاً صوتياً من الكلمات وتبين ما لها من موقع وتأثير علي المستمع[٣٣]. إذ يظهر السجع[٣٤]، وهو تكرار الحروف الساكنة (consonants) في بداية الكلمات الآتية:

noster... nobilitas; insimulati.... indicta.... interfecti; ipsis... ipsa; propinquis.... prohibeor... pronuntiare; quae... gesta.

ويأتي الجناس[٣٥] ، وهو تشابه نهاية المقاطع (homoioptota) في كلمتين أو أكثر كما يتضح في الكلمات الآتية :

proditionis... Romanis; cognoscite... ipsa... cuede; insimulati... interfecti; indicta.... causa; meis ... propinquis... interfectis.

تاكيتوس ومؤلفه " الحوليات " (Annales):

عاش بوبليوس كورنيليوس تاكيتوس (P. Cornelius Tactius)[٣٦] في الفترة ما بين ٥٤ حتى عام ١٢٠ ميلادية، ويذكر المؤرخ بلينيوس (Plinius) الأكبر[٣٧] أن والده كان فارساً رومانياً، وحاكماً (Procurator) لغالة البلجيكية. وانخرط تاكيتوس فى مراحل

التعليم التى تنتهى عادة بمدرسة الخطابة[٣٨]. إذ كرّس نفسه لدراسة الفلسفة والقانون والبلاغة بخاصة.

بدأ تاكيتوس حياته العملية كمحام فى ساحات القضاء، وبعد ذلك اتجه لكتابة التاريخ. وفى عصر الإمبراطور فسباسيانوس (Vespasianus) تدرج تاكيتوس فى سلك الوظائف الحكومية.

وطبقاً لنقش رومانى يرجع تاريخه إلى حوالى عام ١١٠ ميلادية نعرف أنه عُين كقنصل مكمل لفترة قنصلية (suffectus consul) فى آسيا الصغرى فى عام ٩٧ ميلادية تقريباً. وقد عاصر تاكيتوس أيضاً فترة حكم الإمبراطور ترايانوس (Trajanus) (٩٨- ١١٧م) الذى يُعد من أعظم الأباطرة الرومان.

تنتمي لغة تاكيتوس بوجه عام إلي اللغة اللاتينية وتعكس مميزاتها وخصائصها في عصرها الفضي ، أي أنها تميزت باستخدام الألفاظ الجديدة والعبارات الشعرية ، وتفكك الجمل المركبة الطويلة الدائرية التي تميز بها شيشرون وتميزت بها اللغة اللاتينية في عصرها الذهبي[٣٩]. ولقد اتخذ تاكيتوس من أسلوب كل من سالوستيوس (Sallustius)، وليفيوس (Livius) ، وفيرجيليوس (Vergilius) نموذجا يحتذي به ، ولكنه سرعان ما أصبح له أسلوبه الخاص المميز، إذ فضل استخدام الجمل المركبة القصيرة والجمل القصيرة المستقلة (cola) المحبُوكة والمُحكمة الممتلئة بالقوة والحيوية التي احتوت علي الوسائل والذخائر البلاغية باقتصاد والتي تحررت فقط في خطبه التي أصبح بناء الجمل فيها متقنا وذا خصائص فنية وبلاغية رفيعة المستوي. ومن الأمثلة علي ذلك ، الجمل القصيرة المستقلة التي تتكون من مفعول الأداة المطلق (ablativus absolutus).علاوة علي ذلك، تحاشي تاكيتوس مثل سالوستيوس الجمل والعبارات القصيرة المتوازية

(parallel cola) والمتراصة . وكان يميل إلي استخدام الكلمات والتعبيرات الشعرية المناسبة لروح العصر والسياق لأنه تأثر بـ فيرجيليوس وأشعاره وأفكاره وأسلوبه ، وكان يحرص علي أن يخفي عن القارئ ما لا يريد أن يعلمه،وكان يضيف غالباً مغزى خاصاً لكلماته. وقد عكف علماء اللغة علي الدراسة الأسلوبية لكتابات تاكيتوس منذ أوائل القرن الماضي ، واستخدام فوسّ (voβ) الصفة الألمانية "pointiert" وتعني المقتضب ذى المغزى أو التمويه المقصود – لوصف أسلوبية تاكيتوس[٤٠] ، ولم يستخدم المصطلحات القديمة الشائعة التي تصف أسلوب الكُتاب والخطباء الإغريق والرومان وتحدد مدي تفوق وتميز كل منهم[٤١].

ألف تاكيتوس الحوليات (Annales) في الأعوام ما بين ١١٥ و ١١٧ ميلادية، وتتناول فترات حكم الأباطرة الرومان: تيبريوس (Tiberius)، وجايوس كاليجولا (C.Caligula)، وكلوديوس (Claudius)، ونيرون (Nero) .

عنوان مخطوط الحوليات هو "من موت أغسطس المُؤله " (Ab Excessu Divi Augusti) ، وللأسف لم يصلنا من هذا العمل سوي الكتب الستة الأولي ، وكذلك الكُتب من الحادي عشر حتى السادس عشر .

هناك أسئلة كثيرة ومحيرة تتعلق بالحوليات لا تزال مطروحة في مجال البحث والدراسة مثل : متي تم تأليف " الحوليات " علي وجه التحديد ، وما هي مراحله ؟ وهل اهتم تاكيتوس بالتقسيم في الحوليات إلي مجموعات سداسية ؟ إضافة إلي أن الكتب من ١٣ حتي ١٦ تعاني من بعض التفكك في البناء وعدم الدقة في استخدام الألفاظ المناسبة، والعبارات المصقولة[٤٢] .

يـــبدأ تاكيتوس الحوليات (الكتب ١-٦) ببداية غير متوقعة من حيـــث لا تـــتفق مع أسلوب سرد الحولية ، فهي تستهل بتولي تيبريوس مقالـــيد الحكـــم الإمبراطوري في عام ١٤ ميلادية ، وبعد انتهاء الكتب الستة الأولي تعود إلي الأسلوب المألوف لسرد الحولية(الكتب ١١-١٦).

كـــان تاكيتوس يميل إلي التغيير في تقنيات الكتابة[٤٣]. فمثلا ، ركز تاكيتوس جل اهتمامه علي شخصية واحدة محورية في الكتب الست الأولي بينما نلاحظ أنه في الكتب ابتداء من الحادي عشر حتى السادس عشر – يلجأ إلي تقديم وعرض مختلفين للمادة التاريخية المطروحة في الحولـــيات . ويـــرجع هـــذا الاختلاف في أسلوب الكتابة التاريخية عند تاكيـــتوس إلـــي طبيعة الموضوع في حد ذاته مما كان يستلزم ذلك . إذ كانت شخصية تيبريوس تستحوذ علي عنصر التشويق أكثر من الأباطرة الثلاثة الذين أعقبوه .

صـــرح تاكيتوس بأن هدف التاريخ عنده هـــو هـــدف أخلاقي وتعليمـــي فـــي المقـــام الأول[٤٤] ، ونلاحظ أنه كان يعمد إلي عرض النماذج الطيبة والسيئة علي السواء في التاريخ ، ويحاول أن يغوص في أعمـــاق الشخصـــية المســـتهدفة مـــن الناحية السيكولوجية ليكشف عن دوافعها.

اهـــتم تاكيـــتوس بالفضائل الرومانية (virtutes) ، ورأي أن الرومانـــي الأصيل هو الذي يتمتع بفضيلة التفوق في الحرب وأنه يجب علـــيه أن يظهرها دائماً[٤٥] . وكان كاليجولا (Caligula) يُمثل نموذجاً لفضـــيلة الاعتدال عند تاكيتوس وهو الموضوع الذي يناقشه تفصيلاً في الكتاب الرابع من الحوليات.

جدير بالذكر أن نغمة عداء تاكيتوس للنظام الإمبراطوري كانت تصـــاحبه وتلازمه في جميع أعماله ، حيث عبر عن هذا العداء بأسلوبه

المقتضـــب ذي المغـــزى ، وتتمثل في إيمانه واعتقاده بأن عقاب الآلهة أصاب الشعب الروماني نتيجة لهذا النظام بالكوارث ، وإعدام أربعة من حكامه، واشتعال الحروب الأهلية الدامية ، والثورات الغالية علي جانبي الألب، وتحالـــف القبائـــل الجرمانيـــة أمثال السرماتيين (Sarmatae)، والسوفيين (Suevi) ضد روما .

الخطبة المباشرة المنقولة عند تاكيتوس:

أولاً: موضوع خطبة فيبولينوس (Vibulenus):

حـــارب الإمبراطور تيبريوس (Tiberius) (١٤-٣٧م) ، الذي خلف الإمبراطور أغسطس (Augustus) في عام ١٤ ميلادية – سنين طويلـــة فـــي الراين والدانوب، واستطاع أن يخضع المناطق التالية التي أصـــبحت بمـــثابة قلعة الدفاع الحصينة الشمالية الشرقية للإمبراطورية الرومانية: منطقة رايتيا (Raetia)، وهي شرقي سويسرا وتيرول حالياً، ومـــنطقة نوريكـــوم (Noricum)، وهـــي النمسا حالياً، ومنطقة بانونيا (Pannonia)، وهي كلانثيا وهنغاريا حالياً .

كانـــت بانونيا ولاية رومانية تقع جنوب غرب الدانوب ، وكان أهلهـــا محبين للقتال، وينتمون أصلاً إلي إيلليريا (Illyria)، وهي الآن يوجوســـلافيا. وفي عام ١٤ ميلادية، وهو العام الذي تولي فيه تيبريوس حكـــم الإمبراطورية الرومانية – أخمد تيبريوس ثورة في بانونيا[٤٦]. وفـــي الأعـــوام التالية استطاع أن يخضع جميع القبائل البانونية لتصبح بانونيا كلها تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية .

وجديـــر بالذكر أن تعبئة الجيش الروماني في عصر الجمهورية وتزويده بالجنود كان يتم من روما وإيطاليا والأقاليم الغربية مثل أسبانيا وبـــلاد الغـــال. وبعـــد ذلـــك صـــارت تعبئة الجيش بالجنود في عصر

الإمبراطورية يتم من نفس القبائل التابعة للإمبراطورية مثل القبائل الجرمانية[٤٧] والقبائل الوافدة من الدانوب وإيللريا ودلماشيا (Dalmatia). وبمرور الوقت أصبح الجنود يخدمون في بداية الأمر كمرتزقة أو بمعني أصح جنود غير نظاميين (milites gregarii)، وبعد أداء الخدمة العسكرية التي تصل لفترة عشرين عاما تقريبا يصبحون هم وأولادهم مواطنين رومانيين ، وكانوا ينتظرون ويترقبون الأجور والعطايا والمكافآت المتمثلة في ملكية الأراضي مقابل انتصاراتهم في الحروب.

اشترك فيبولينوس (Vibulenus) ، وهو جندي غير نظامي في التمرد الذي قامت به الفرق البانونية الثلاث (Pannoniae legiones) في السنة الرابعة عشرة بعد الميلاد[٤٨]. وقد ألقي فيبولينوس خطبة مؤثرة أمام الجنود التيوتونيين(Teutoni) الثائرين جعلت الموقف أشد صعوبة وتعقيداً حيث أدعي أن أخاه قد أغتيل بناء علي أمر من نائب القنصل (Pro consul) كوينتوس إيونيوس (Q. Iunius)عندما كان ذاهبا إلي بانونيا لإجراء مفاوضات عامة بتكليف من الجيش الجرماني (missum ad vos a Germanico exercitu de communibus commodis) وتتضح عدم مصداقية أقوال فيبولينوس من خلال إشارة تأتي بعد ذلك في الفصل الثالث والعشرين من حولية تاكيتوس الأولي[٤٩] التي تؤكد أن فيبولينوس لم يكن لديه أخ .

ثانياً: تركيب الخطبة (dispositio orationis):

يصف تاكيتوس بلغته البليغة ذات المغزي العميق محاولة العصيان والتمرد خلال خطبة مباشرة تأتي علي لسان فيبولينوس، وهو قائد التمرد (dux seditionis)، وحاول من خلالها أن يثير الجنود

الـــ تيوتونيين ويلهب مشاعرهم ، واستطاع أن يزيف حقيقة اغتيال أخيه بذكاء شديد ، وبأسلوب متقن ، وجعل المستمعين إليه يصدقونه ويقتنعون بكلامه .

يتبع تركيب خطبة فيبولينوس وبناؤها نظرية أرسطو والتي نقلها شيشرون بحيث تنقسم الخطبة إلي أربعة أجزاء رئيسية كالآتي :

١- المقدمة (exordium):

بدأ فيبولينوس خطبته بالغضب والاستفسار عن أخيه ومصيره : ولكـــن من يستطيع إعادة الحياة إلي أخي مرة أخرى ؟ مَن يستطيع أن يعـــيد أخي إلي ؟ (sed quid fratri meo vitam, quis fratrem mihi reddit?)

مـــن الملاحـــظ هـــنا أن هـــذا الســـؤال البلاغي الاستفساري (rhetorica quaestio) يأتـــي مـــن خلال تصعيد للحدث (climax) يجعل المستمع يستغرق في مشاعر الأسى والأسف ويتأثر بشدة .

وكذلـــك يـــبرز هـــذا السؤال البلاغي بما يحمله من معاني قوة فيبوليـــنوس وقدرتـــه علـــي جذب اهتمام وعاطفة مستمعيه إليه ، ولكن بالطـــبع لا يمكـــن أن يصدق القارئ العادى أو الدارس المتخصص أن فيبوليـــنوس كجـــندي بســـيط يمكن أن يتمتع بمثل هذه المقدرة والكفاءة اللغوية والبلاغية مثلما رأينا .

٢- سرد الوقائع (narratio):

أخـــبر فيبوليـــنوس الجنود التيوتونيين (Teutoni) أن أخاه قد اغتيل بأمر من نائب القنصل كوينتوس إيونيوس (Q. Iunius) . وكان يهـــدف من وراء هذا إلي أن يثير مشاعر الجنود التيوتونيين كي يثوروا ضـــد الـــرومان . ولكن من الواضح تماماً لأي قارئ حريص وواع أن معلومات فيبولينوس عن حقيقة موت أخيه تبدو مبهمة وغير موثوق فيها

لأنـــه لـــم يذكر أسماء الذين أخبروه بهذه المعلومات ، وكذلك أوضحت الفقرة الثانية في الفصل الثالث والعشرين من الحولية الأولي حقيقة هامة وهـــي أن فيبولينوس لم يكن لديه أخ علي الإطلاق . ويتميز السرد هنا بأنـــه يحـــتوي علـــي قـــدر مـــن الكلمات المناسبة التي تلائم شخصية فيبولينوس.

٣- المعالجة (tractatio):

أظهـــر فيبولينوس غضبه وكراهيته لأن الرومان علي حد قوله اغتالوا أخاه الذي تم إرساله إلي بانونيا لإجراء مفاوضات عامة بتكليف من الجيش الجرماني ، ولكنه لم يقدم الدليل علي صدق مزاعمه .

٤- الخاتمة (peroratio):

طلـــب فيبوليـــنوس مـــن زميلة بلايسوس (Blaesus) أن يأمر الجنود لكي يقتلوه (me quo trucidari iube) كما حثّه كذلك علي أن يأمر الجنود بتدمير المحتشدين (hi sepeliant) ليس لأنهم قد ارتكبوا جـــريمة، ولكـــن لأنهـــم كـــانوا يعملـــون لمصـــلحة الفرق العسكرية (dum interfectos nullum ob scelus, sed quia utilitati legionum consulebamus).

ثالثاً: العناصر البلاغية في خطبة فيبولينوس (Vibulenus):

تجســـد خطـــبة فيبوليـــنوس أســـلوبية تاكيتوس ولغته المُحكمة المقتضبة التي تتميـــز بالمبـــالغة والإكثار مـــن الصنعـــة والفن[٥٠]. إذ يظهر التصعيد (gradatio)[٥١]عندما يتساءل فيبولينوس في بداية خطبته عن أمرين أو شيئين متلاحقين ومتتابعين ، وهما إعادة الحياة مرة أخرى إلي أخيه المقتول وإعادته حيا إليه.

(sed quis fratri meo vitam ; quis fratrem mihi reddit ?)

ومـــن الطبيعـــي أن تحتوي خطبة فيبولينوس علي هذا السؤال البلاغـــي الاستفساري لأنه من النادر أن تخلو أي خطبة بوجه عام من سؤال بلاغي أو سؤالين.

يوضـــح هذا السؤال البلاغي أسلوب تاكيتوس المقتضب والذي يحمـــل مغـــزى[٥٢] عندما استخدم تاكيتوس سؤالا واحدا للاستفسار أو التعبير عن شيئين بدلا من سؤالين ، وحذف الفعل (reddit) من السؤال الأول ووضـــعه فـــي نهاية السؤال الثاني لكي يجلب إيقاعا وتأثيرا أكبر علـــي المستمع ، ولم يستعمل أي أداة لربط السؤالين (أو الجملتين) معا. وهذا الحذف لا يقلل فقط من عدد المقاطع أو الحروف في جملة السؤال الأول ولكـــنه يؤكـــد أيضـــاً عدم الترابط والتواصل بين أجزاء الجمل القصيرة (cola) لكي تشكل جملتا السؤالين سؤالاً واحداً ، كما يبين هذا الحـــذف كذلـــك اتجـــاه تاكتيوس لصياغة جمل قصيرة مستقلة (cola) تظهـــر كأجزاء جمل مستقلة متعددة وتبدو كأنها متعمدة (delineated cola)[٥٣] .

وفـــي رأيي أن هذا السؤال البلاغي يحمل مغزى أراد تاكتيوس مـــن ورائـــه أن يعبر عن تذمره واستيائه من نظام الحكم الإمبراطوري وحـــال الدولة الرومانية وما آلت إليه من تردي في الأوضاع بوجه عام كأنـــه يتســـاءل عـــن:من يعيد الحياة مرة أخرى إلي روما القتيلة التي اغتالتها الحروب والثورات والدسائس والأطماع في كل مكان ؟

تشتمل خطبة فيبولينوس علي بعض الصور والأغراض البلاغية التي يمكن إيرادها علي النحو التالي:

تتمـــثل الاستعارة (metaphora) [٥٤] في ... (cum osculis meum dolorem explevero)، ويـــبرز الغرض البـــلاغي، أنافورا (anaphora)[٥٥] عـــندما تتكرر حروف الجر(cum..cum) في أجزاء

الجملـــة لتأكيد الفكرة ، ومن خلاله تتولد المحسنات اللفظية البديعية مثل الســـجع والجـــناس وكذلـــك يتمـــثل الغـــرض البلاغـــي ، هنديادوين (hendiadoin) [٥٦] فـــي هذيـــن التعبيريين: (habet atque armat) بمعني "يستحوذ علي" أو يتسلح بشيء ،(lucem et spiritum) بمعني "النور والتنفس" .

كذلك تحتـــوي خطبـــة فيبولينـــوس علـــي بعـــض المحسنات البديعـــية مثل السجع (alliteratio) ، والجناس (homoioteleuton) والتي تبرز التآلف الصوتي للكلمات ووقعـــها وتأثيرهـــا العميق فى أذن المستمع. إذ يأتي السجع ، وهو تكرار الحروف الساكنة (consonants) في بداية الكلمات الآتية:

communibus commodis ; scelus , sed ; fratri ... vitam ... fratrem ; quid ... quis .

ويظهر الجناس ، وهو تشابه نهايات المقاطع في كلمتين أو أكثر كالآتي:

dum ... nullum ... legionum ; vitum ... fratrem; habet ... armat; dolorem ... meum ; scelus ... consulebamus lucem ... spiritum .

الخاتمة:

بعد مناقشة مصداقية الخطبة المباشرة المنقولة ودوافعها وأسبابها وخصائصـــها عند كل من المؤرخين : قيصر وتاكيتوس – نستطيع أن نثبـــت باختصـــار النتائج العملية من وراء ذلك ، وهى تنحصر في هذه الملاحظات :

كان الهدف الأساسي لكل من المؤرخين : قيصر وتاكيتوس هو تزويد القارئ بمادة تاريخية سواء كانت وقائع أو أحداثاً أو تواريخاً من خـــلال ادراجهـــا فـــي خطبة مباشرة ألقاها أشخاص أمثال : ليتافيكوس

وفيبولينوس كان لكليهما دور هام في مسار الأحداث التاريخية . ترك قيصر وتاكيتوس للقارئ مسئولية تقرير مصداقية الوقائع والأحداث والتاريخ والشخصيات من خلال الخطبة المباشرة لأنهما لم يرغبا أن تصل هذه المادة التاريخية إلي القارئ من خلالهما مباشرة وتعبر عن وجهة نظرهما فقط بحيث يصبحان الحكم والفيصل الوحيد والنهائي فيها، وبذلك يتحملان مسئوليتها . وكذلك لم يرغبا أن تُفرض هذه المادة التاريخية علي القارئ فرضا كما يقول الشاعر أبو العلاء المعري :

جلو صارما ، وتلو باطلا

∴ وقالوا : صدقنا ، فقلنا : نعم !

وظف كلا المؤرخين قيصر وتاكيتوس الخطبة المباشرة لإلقاء الضوء علي الأسباب الحقيقية وراء الثورات التي كانت علي وشك النشوب من ناحية ، وإبراز الأسلوب المخادع للقائدين : ليتافيكوس ، وفيبولينوس عندما استخدما سلاح التأثير العاطفي لتحقيق أغراضهما .

هناك سمة مميزة مشتركة سادت في الخطبتين المباشرتين المنقولتين اللتين ألقاهما ليتافيكوس وفيبولينوس وهي الأقوال المزيفة والمزاعم المُدرجة و التي تعبر عن الدوافع الشخصية لكل من هذين القائدين وتعتبر خدعة للحصول علي تأييد جنودهما للقيام بحركة تمرد وثورة .

جعل قيصر وتاكيتوس كلا من ليتافيكوس وفيبولينوس يتكلمان كخطيبين رومانيين مفوهين ، يُلمان بكافة الأساليب البلاغية . وعلاوة علي ذلك ، نلاحظ أن الأساليب الواجب توافرها في الخطيب تنطبق عليهما[٥٧] . ويبدو لي أنه من السهل جدا أن نصدق أن الجندي (سواء كان ليتافيكوس أو فيبولينوس) ربما يقذف بتهديداته وشتائمه ، ولكن من الصعب أن نصدق أنه يلقي مثل هذه الخطب البليغة المنمقة المحبوكة

الزاخـــرة بالصور الخيالية والاستعارات ، والأغراض البلاغية بأنماطها المختلفة التي سبق أن ذكرناها تفصيلاً .

من الملاحظ أيضاً أن تأثيـــر الأسلـــوب الآسيـــوي (asianic style)[٥٨] يبدو واضحا أكثر عند تاكيتوس ويبدو أقل عند قيصر ، هذا الأســـلوب الذي يزخر بالوسائل والأغراض البلاغية مثل : الاستعارة ، والـــ أنافورا (anaphora) والهنديادوين (hendiadoin).

يثنـــي شيشـــرون[٥٩] علي أسلوب خطب قيصر واصفا إياه بأنه يـــتفق مـــع النموذج الأتيكي، وذلك لأن قيصر يتمتع بحس وذوق لغوي رفـــيع المســـتوي (elegantia)[٦٠]، ويميل إلي التحفظ وتحاشي الألفاظ غير المألوفة [٦١]، ولكنه يري[٦٢] أن قيصر كخطيب لا يصلح للانتماء إلـــي المنهج الأتيكي وتعاليمه المحافظة الصارمة[٦٣] ، وأنه عندما يلجأ إلي الوسائل البلاغية والمحسنات البديعية عند اختياره للألفاظ المناسبة ، فيـــبدو أنه يقيم لوحات مرسومة في ضوء جيد . يتكرر استخدام تركيبة مفعـــول الأداة المطلـــق (ablativus absolutus) بوفرة عند قيصر . فمـــثلا ، فـــي الفصـــل ٣٨ موضـــوع الخطبـــة التي نحن بصددهـــا: (convocatis subito militibus)، و (fratribus atque omnibus meis propinqui) ، ويعتـــبر هذا الأسلوب سمة مميزة لقيصر، بينما نلاحظ أن استخدام هذه التركيبة أقل عند المؤرخين الرومان : تاكيتوس (Tacitis) ، وساللوســـتيوس (Sallustius) ، وليفـــيوس (Livius) . ويرتـــبط اســـتخـــدام تركيبـــة مفعـــول الأداة المطلـــق باللغة الخاصة بتقارير الحالة العسكرية[٦٤].

يقتبس الناقد بوند (Bond) [٦٥] رأي إدوارد جيبون (Gibbon) مؤلف الكتاب الشهير " تاريخ انهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها " (The History of the Decline and Fall of the Roman

Empire) – بالنسبة لتاكيتوس كمؤرخ، إذ يقول: " تاكيتوس هو المؤرخ الوحـــيد الذي أعرفه وينطبق عليه رأيي بالنسبة للمؤرخ الفيلسوف، فهو يوظـــف قوة البلاغة ليعرض فقط العلاقة بين الوصلات التي تصل بين سلسلة من الأحداث التاريخية ".

الحواشـــــى:

(1) Gelzer, M., Caesar als Historiker, Kleine Schrift .2 ; Wiesbaden, (1963), pp.307-z335; Pöschl, V., Tacitus, 11 ff ., Goodyear, F.R., D., "Development of Language and Styl. in the Annals of Tacitus " , JRS 58, (1968), Dorey, T.A., Latin Historians , 72 f.

(2) Rasmussen , D., Caesars Commentarii Still und Stilwandel am Beispiel der direkten Rede, 138 ff.

(3) Eisenhardt , K., Über die Reden in den Historien und Annalen des Tacitus , pp.27,33,80 ff .

(4) Cic. De Orat . 2. 51,64.

يذكـــر الخطيـــب الرومانـــي شيشرون (Cicero) في عمله البلاغي "عن الخطيـــب" (De Oratore) نوعين من كُتاب التاريخ ويميز بينهما: كُتاب الحوليات (narratores rerum) والمؤرخين البلاغيين (exornatores rerum) .

(5) Ibid., 2. 15, 62.

(6) Arist. Rhet. III. VII.XVI . XVI . Cic . Orat . 122-125 .

(7) Arist. Rhet. III . XIV . 1-4 .

(8) Ibid ., 5-6 .

(9) Ibid . III . XVII . 1-2 .

(10) Ibid . III . VIII .

(11) Ibid . III . XIX .

(12) Groebe , P., C. Julius Caesar , RE 10 (1918), pp. 186-259 ; Gelzer,M., Caesar , Kleine Schr. 2, Wiesbaden , (1963), pp. 307-335 .

(13) Dio Cassius XXXVII . 37, Plutarch . Caes. 7, Suet . Julius 18-19 .

(14) Suet . Julius 18-19 , Dio Cassius XXXVII . 52-54, Velleius Paterculus II . 41-44, Plutarch . Caesar 11-14 , Pompeius 44, Crassus 14 , Cato Minor 31, Appian B.C. II . 8-9

(15) Dio Cassius XXX VIII. . 8.5 , Plutarch . Caesar 14.6 , Suet . Jul . 20.2 , Appian B.C.II.13; Syme , R., "Caesar , the Senate and Italy" pp. 1-31 .

(16) Dio Cassius XXX VIII. . 8.5 , Suet . Jul . 22 , Cic . De Provinc . Cons .36, Pro Cael .59 ; Gelzer , M., "War Caesar ein Staatsmann?" HZ 178 (1954), pp. 449-470 , Mommsen , Th., Die Rechtfrage zwischen Caesar und dem Senat , Ges. Schr. 4, Berlin, (1906), pp. 92-145, Meier, Chr., Zur

Chronologie und Politik in Caesars erstem Konsulat , Historia 10 (1961) , pp. 68-98 .

(17) Adcock , A .F. E ., Cambridge Ancient History , IX ,pp. 550-573; Bleicken. J., Geschichte der römischen Republik , p. 184 f.; Timpe , D., Caesars gallischer Krieg und das Problem des römischen Imperialismus, Historia , 14 (1965) , pp. 189-214 .

يـــري تيمـــبه (Timpe) ضـــرورة الربط بين تأمين روما من الأخطار الخارجـــية والســـيادة الرومانية وسياستها التوسعية الاستعمارية ، إذ يذكر أن دوافع الحـــرب الغالية نشأت لسوء الأحوال السياسية والاقتصادية الداخلية في روما . هذا بالإضـــافة إلـــي حتمية تأمين حدودها وحمايتها من الأخطار الخارجية. وتتضح تلك الـــرؤية من خلال وجهة نظر قيصر نفسه عن ضرورة الحرب الغالية – التي كان يعارضـــها بعض أعضاء مجلس السناتو – والتي تضمنتها إحدى خطبه أمام بعض جـــنوده المتذمريـــن:"إن النقاش المتعلق بضرورة الحرب هو أننا ينبغي أن لا نكون أثـــرياء، ولا أن نحكـــم الأمم الأخرى، ولا أن نكون أحراراً، ولا أن نكون رومان أيضا".

(18) Gelzer , M., Caesar als Historiker; KL. Schr. 2, Wiesbaden, (1963), pp. 307-335; Lieberg, G., Caesars Politik in Gallien , Interpretationen zum Bellum Gallicum, p. 37.

يميل ليبرج (Lieberg) إلي وصف كتابات قيصر عن الحرب الغالية بأنها عرض ذاتي للسيادة العسكرية (feldherrliche Selbstdarstellung).

(19) Barwick , K., Caesars Commentarii und das Corpus Caesarianum, Philologus Suppl . 31,2, p. 100 ff.; Gesche, H., Caesar, pp.78-83, Knoche, U., Caesar Commentarii, Ihr Gegenstand und Ihre Absicht, Gymnasium 58 (1951), pp. 139-160, Idem, Caesar, WF43, (1967), pp. 224-254 .

ثمـــة مصـــدران معاصـــران لقيصـــر – وهمـــا أولـــوس هيرتيـــوس (A.Hirtius) والخطيـــب شيشـــرون (Cicero) – يذكـــران أن قيصر كان يكتب تعليقاته بغرض تزويد الأدباء بفيض من المعلومات لكي ينقلوها في قالب تاريخي . فمثلا، يقول هيرتيوس في مقدمة الكتاب الثامن عن الحرب الغالية: إن تعليقات قيصر قـــد طُبعـــت لكـــي تزود كُتاب التاريخ بالمعلومات عن تلك الأحداث، ولكن الرأي الجماعـــي أثبت أن كُتاب التاريخ قد فاتتهم الفرصة لعرض مواهبهم. (Qui sunt editi, ne scientia tantarum rerum scriptoribus desit, adeoque

probantur omnium iudicio, ut praerepta, ne praebita facultas (scriptoribus videatur

وكذلك يقول شيشرون في كتابه بروتوس (Brutus) إنه بينما كان قيصر يريد أن يزود المؤرخين برصيد من مادة علمية متاحة، وهو ربما قدم جميلاً للأغبياء إلا أنه بالتأكيد أرعب العقلاء من الكتابة. انظر:

Cic, Brut . 75.262: sed dum voluit alios habere parata unde sumerent qui vellent scribere historiam , ineptis gratum fortasse fecit, sanos quidem homines a scribendo deterruit .

(20) Walser, G., Bellum Helveticum . Studien zum Beginn der caesarischen Eroberung von Gallien , pp.46,51,55,66,75,85, etc.

يؤكد فالزر (Walser) وجهة نظر المؤرخ الألماني مومسن (Mommsen) – التي يمثلها المؤرخون: ماير (Meier) ، وجلتسر (Gelzer) وآخرون- القائلة إن قيصر ألف كتبه السبع عن الحرب الغالية فيما بين عامي ٥٢/ ٥١ ق.م، وكانت موجهة إلي قرائه من أعضاء مجلس السناتو بصفة خاصة .

(21) Radista, L., Julius Caesar and his Writings, ANRW 1.3 (1973) , pp.417-456; Gelzer M., Caesar als Historiker, KL. Schr.2, Wiesbaden, (1963), pp.307-335 .

(22) Dorey , T.A., Latin Historians , p. 72 ff .

(23) Timpe , D., Caesars gallischer Krieg und das Problem des römischen Imperialismus, Historia 14, 1965 pp. 189-214 .

(24) Caes . Bell . Gall . VII . 38 .

(25) Arist . Rhet . III . VII . XIV . XVI .

(26) Cic. Orat . 122-125 .

(27) Rasmussen, D., Caesars Commentarii Stil und Stilwandel am Beispiel der direkten Rede , p. 138 F .

يذكر رازموسين (Rasmussen) أن هذا الموقف هو أحد المواقف الثلاثة التي ينتحب فيها الخطيب عند قيصر، وأن هذا التعبير الدال علي البكاء للإثارة مذكور فقط في المواقف المتعلقة بالغاليين انظر:

Caesar, Bell . Gall . I . 31.21.2 : flentes; Ibid ., I. 20.1 : multis cum lacrimis .

(28) Caesar , Bell- Gall . VII . 39 .

جدير بالذكر أن فيريدوماروس (Viridomarus) كان زعيما أيدويا، وتابعا للزعيم الثوري فركينجتوركس(Vercingetorix)، وكان يزود قيصر بأخبار الأيدويين وثوراتهم.

(29) Donnermann H., De anaphorae apud Romanos origine atque usurpatione, pp. 54-46 ; Rubenbauer - Hofmann , Lateinische Grammatik , 265 .

تمثل الأنافورا (anaphora) لونا من الألوان البلاغية، ذات الشكل أو الهيئة المميزة التي تتضمن في تكرار نفس الكلمات في الجملة، أو في بعض أجزائها لتأكيد الفكرة.

(30) Holst , H., Die Wortspiele in Ciceros Reden, Symbl. Oslo. Suppl.; Oslo 1925, p. 42 ; Aristot . Rhet . 1410 a 18ff ; Auctor ad Hernnium 4,21, Cic. De Orat. 2.263; Parzinger, P., Beiträge zur Kenntnis der Entwicklung des ciceronischen Stils . Bd 12 , pp. 26-27 .

(31) Ibid., p. 70; Straub, De tropis et figuris, quae inveniuntur in orationibus Demosthenes et Ciceronis , p. 98.

(32) Rubenbauer- Hofmann, op.cit., 265.

(33) Cic. Orat . 166-9, 219.

(34)Rubenbauer - Hofmann, op.cit., 265; Bintz, J., Beiträge zum Gebrauch der Alliteration bei den römischen prosaikern, Philolgus 44 (1885) ,pp. 262-278.

يعتبر السجع (alliteratio) من الألوان البلاغية البديعية ذات الرنين والوقع الحسن عند الجمهور اللاتيني.

(35) Rubenbauer- Hofmann, op.cit , 265; Cic. Orat . 65,84,175,220; Quint. Instit. Orat. 9.3. 74-80.

(36) Laistner, M.L.W., The Greater Roman Historians, pp. 103-140; Pöschl, V., Tacitus, p. 7 ff.

انظر كذلك: د. أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري – العصر الفضي، القاهرة، ١٩٩٠، ص: ٢١٠ – ٢٢٣.

(37) Plinius, Hist. Nat. V11. 6.

(38) Bonner, S.F., Education in Ancient Rome from the Elder Cato to the Younger Pliny , pp. 250-327.

(39) Lofstedt, E., On the Style of Tacitus , JRS. 38, (1948); Draenger, A., Über Syntax und Stil des Tacitus, pp. 10-4 ff .

(40) Voβ, B.R., Der pointierte Stil des Tacitus, p. 14 ff; Draenger , A., op.cit., pp. 7-8.

(41) Lausberg, H., Handbuch der literarischen Rhetorik II, pp. 933 ; Cic. De Orat. 3. 3.28.

كانـت توجد مصطلحات بلاغية شائعة قديما في عصر شيشرون لوصف تمـيز أسلوبية الكُتاب والخطباء وتحدد مدى تفوقهم مثل كلمة النعومة (suavitas) لوصف إيسوكراتيس (Isocrates) ، والسهل الممتنع (subtilitas) لوصف ليسياس (Lysias) ، وحـاد (acumen) لوصـف هيـبريديس (Hyperides) ، وهديـر (sonitus) لوصـف أيسـخينيس (Aeschines)، وقوة (vis) لوصف ديموستنيس (Demosthenes).

(42) Klingner, F., "Beobachtungen über Sprache und Stil des Tacitus am Anfang des, 13 Annalenbuches" , Hermes 83, (1955), pp. 187 – 200.

(43) Sinclair, P., Tacius the sententious historian: a sociology of rhetoric in Annales 1-6, 18 ff.

(44) Wallace – Hadrill, "The emperor and his virtues", Historia 30, (1981), pp. 298-323; Plass, P., Wit and the writing of history: the rhetoric of historiography in imperial Rome, 15 ff.

مـن الملاحـظ أن المؤرخيـن تاكيتوس وسويتونيوس (Suetonius) هما الكاتـبان الوحـيدان في الأدب اللاتيني اللذان يبديان قدرا كبيرا من الاهتمام بالتقييم الأخلاقي وبخاصة عند معالجتهما لتاريخ الأباطرة الرومان .

(45) Tacit. Ann. 4. 20, 2-3.

(46) Schmitt, H, Der Pannonische Aufstand des Jahres 14n.Chr und der Regierungsantritt des Tiberius , Historia 8, 1958.

(47) Schmidt, L., Zur Kimbern-und Teutenfrage, Klio 22, (1929), pp. 95-104; Norden, E., Die germanische Urgeschichte in Tacitus ' Germania, p.7; Koestermann, E., Der Zug der Cimbern, Gymnasium 76, (1969), pp. 310-329.

كانـت القـبائل الجرمانـية وسـكانها يسمون بـ تيوتونيون(Teutoni)، وكمـبريون (Cimberi) وآمبرونيون (Ambroni) يسكنون أصلا في وسط أوربا الغربـية واضطروا بسبب الفيضانات والمجاعات للهجرة إلي الجنوب عبر الدانوب بعد أن اخترقوا جبال الألب واتجهوا غربا وأقاموا حول شمال الألب في حوالي عام ١١٣ ق.م ، وانضـمت إلـيهم القبائل الجرمانية الأخرى التي كانت تقطن في جبال سويسـرا ،وبعـد أن هزموا عدة جيوش رومانية كانت قد تصدت لهم حاولوا غزو

ايطاليا ، ولكن القنصل ماريوس (Marius) استطاع أن يتصدى لهم وينزل بهم هزيمة ساحقة نكراء في عام ١٠١ ق.م .

(48) Tacit. Ann. 22, 28.

(49) Ibid.,23,2; Goodyear, F.R.D., "Development of Language and Style in the Annals of Tacitus", JRS 58 (1968), pp. 22- 31; Woodman, A.J., Tacitus Reviewed , pp. 24, 41.

يقول وودمان (Woodman) دائما إنه لا يكترث بما حدث فعلا ولكنه يهتم بما قاله المؤرخ القديم ويري أنه عندما يعبر جودبير (Goodyear) عن هذا الرأي – في تعليقه وهو يبدي اهتمامه بإضافة تاكيتوس المتضمنة في اختلاقه لحادثة مهمة من أجل التأثير الأدبي – فإن هذا يعتبر أمرا خطيراً بالنسبة له أى (جودبير) وكذلك بالنسبة للقراء المحدثين الذين يعتبرون تاكيتوس مؤرخا مخلصا وأمينا .

(50) Goodyear , F.R., " Development of language and Style in the Annals of Tacitus", JRS 58, (1968), pp. 22-31; Eisenhardt, K., Über die Reden in den Historien und Annalen des Tacitus, pp. 27,33,80,ff; Miller, N. P., "Dramatic Speech in Tacitus", AJP 85 (1989), 279- 96.

(51) Donnermann , op.cit, pp. 45-46; Rubenbauer -Hofmann, op.cit., 265.

(52) Voβ , B.R., Der pointierte Stil des Tacitus, p. 146.

(53) Habinek, Th. N., The Colometry of Latin Prose , pp. 167-170; Klingner, F., "Beobachtungen über Sprache und Stil des Tacitus am Anfang des 13 Annalenbuches", Hermes 83 (1955) , pp. 187-200: "Jeder neue Satzteil taucht vor dem Leser auf wie vor dem Wanderer ein unheimlich Begegnender aus dem Verborgenen, aus dem Hinterhalt".

يعبر كلينجنر (Klingner) عن تأثير هذا النوع من الكتابة قائلا :" يظهر كل جزء جديد من أجزاء الجملة أمام القارئ مثلما يظهر أمام المتجول شخص ما من الخفاء ، من الوكر"

(54) Donnermann, op.cit., pp. 45-46; Rubenbauer- Hofmann, op.cit., 265.

(55) Rubenbauer- Hofmann, op.cit., 265.

(56) Hatz, G., Beiträge zur lateinischen Stilistik (Herdiadys in Ciceros Reden), p. 15 ff.

يُستخدم الغرض البلاغي ، هنديادوين (hendiadoin) للتعبير عن معني بكلمتين بدلا من كلمة واحدة ، ويساهم في إثراء المعني .

(57) Neumeister, chr., Grundsätze des forensischen Rhetorik, p. 8-11 Der Redner muß sich seinen Hörern anpassen- er muß seine kunst vor ihnen verbergen – er muß seine Gedanken suggestiv vorbringen.

يقـول نـوي مايستر (Neumeister) : " يجب علي الخطيب أن يجتذب مستمعيه إليه ، ويقنعهم بأسلوب منظم، ويخفي هدفه عنهم ، ويقدم لهم أفكاره بأسلوب الإيحاء ".

(58) Leeman, A.D., Orationis ratio, vol. I. p. 71 ff.
(59) Cic. Brut . 72, 252.
(60) Deichgräber, K., Elegantia Caesaris , Gymnasium 57, (1950), pp. 112-123.
(61) Gellius , A., Noctes Atticae X, 3, 14.
(62) Cic. Brut. 75. 261.
(63) Leeman, A.D., op.cit., 71ff.
(64) Laughton , E., The Participle in Cicero , pp. 151 ff.
(65) Bond , H., The literary Art of Edwrard Gibbon, pp. 17 ff : " Tacitus is the only writer I Know that comes up to my idea of a philosophical historian. He employs the force of rhetoric only to display the connection between the links forming the chain of historical events".

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

Aristoteles	Ars Rhetorica. Ed .R. Kassel. Berlin . New York. Reprint (1976).
Caesar, Gaius Julius	Commentarii De Bello Gallico. Ed . O. Seel. Leipzig, (1961).
Cicero, Marcus Tullius	Orator. Ed. H.M.Hubbell, Loeb Classical Library. London. Cambridge (1939).
_____	Ad M. Brutum Orator. Ed. J.E. Sandys. London. Cambridge Reprint (1973).
Dio Cassius, Cocceianus	Historiarum Romanorum, quae supersunt. Ed . Ursulus Philippus Boissevain, Berlin (1895).
Quintilianus	Institutio Oratoriae. Ed .M. Winterbotton. 2 Vols. Oxford (1970).
Plutarchus	Vitae Parallelae. Ed. C. Lindskog. Ed . K. Ziegler, Teubner. Leipzig (1964).
Suetonius	De Vita Caesarum. Ed. M. Ihm. Teubner. Leipzig 1908, Reprint Stuttgart (1964).
Tacitus	Annalium Ab Excessu Divi Augusti Libri. Ed. H. Furneaux. Vol. I. 2nd edn. Oxford (1896).
Velleius Paterculus	Historia Romana. Ed . C. Halm. Teubner-Leipzig (1909).

ثانياً: المراجع العربية:

١- أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري – العصر الفضي ١٩٩٠.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Adcock (A.F.E)	The Cambridge Ancient History, Bd. 7-10, Cambridge, (1928-1934).
Barwick (K)	Caesars Commentarii und das Corpus Caesarianum. Philologus suppl. 31. 2.
Bintz (J)	Beiträge zum Gebrauch der Alliteration bei den römischen Prosaikern. Philologus 44, 1881, pp. 262-278.
Bleicken (J)	Geschichte der römischen Republik. München, (1980).
Bonner (S.F.)	Education in Ancient Rome from the Elder Cato to the Younger Pliny. University of California Press. Berkely and los Angelos, (1977).
Bond (H)	The Literary Art of Edward Gibbon. Oxford, (1960).
Deichgräber (K)	Elegantia Caesaris. Gymnasium 57, (1950), pp. 112-123.
Dorey (A.T.)	Latin Historians. London, (1966).
Donnermann (H)	De anaphorae apud Romanos origine atque usurpatione. Marburg , (1918).
Draeger (A)	Über Syntax und Stil des Tacitus. Leipzig, (1882).
Eisenhardt (K)	Über die Reden in den Historien und Annalen des Tacitus. Ludwigshaven, (1911).
Gelzer (M)	"War Caesar ein Staatsmann?" HZ 178, (1954), pp. 449-470.
———	Caesar als Historiker , Kleine Schrift., Wiesbaden, (1963), pp. 286-306 .
Gesche (H)	Caesar, Darmstadt, (1976).
Goodyear (F.R.D.)	" Development of Language and Style in the Annals of Tacitus ", JRS 58, (1968), 99. 22-31.

———	The Annals of Tacitus. Cambridge, (1981).
Groebe (P)	C. Julius Caesar. RE 10, (1918), pp. 186-259.
Habinek (Th.N)	The Colometry of Latin Prose , 2nd edn, University of California, (2000).
Hatz (G)	Beiträge zur lateinischen Stilistik (Hendiadys in Ciceros Reden) , Progr. Schweinfurt, (1886).
Holst (H)	Die Wortspiele in Ciceros Reden. Symbolae Osloenses, Fasc. Suppl., Oslo , (1925).
Klingner (F)	Beobachtungen " Über Sprache und Stil des Tacitus am Anfang des 13 Annalenluches" , Hermes 83, (1955), pp. 187- 200.
Knoche (U)	Caesars Commentarii, Ihr Gegenstand und Ihre Absicht, Gymnasium 58, (1951), pp. 139-160.
———	Caesar, WF 43, (1967), pp. 224-254.
Koestermann (E)	Der Zug der Cimbern, Gymnasium 76, (1964), pp. 310-329.
Laistner (M.L.W.)	The Great Roman Historians, Berkley, (1947).
Laughton (E)	The Participle in Cicero. Oxford , (1964).
Lausberg (H)	Handbuch der literarischen Rhetorik II. München, (1960), reprint (1973).
Leeman (A.D.)	Orationis ratio, 2 Vols. Amsterdam, (1963).
Lieberg (G)	Caesars Politik in Gallien Interpretationen zum Bellum Gallicum, Bochum, (1998).
Lofstedt (E)	" On the Style of Tacitus ", JRS, 38, (1948), pp. 22-31.
Meier (Chr)	Zur Chronologie und Politik in Caesars erstem Komsulat, Historia, 10, (1961), pp, 68 - 98.
Miller (N. P)	"Dramatic Speech in Tacitus", AJP 85 (1989), 279-96.
Mommsen (Th)	Die Rechtfrage zwischen Caesar und dem Senat, Ges. Schr . 4, Berlin, (1906), pp. 92-145.

Neumeister (Chr) Grundsätze der forensischen Politik, München, (1964).

Norden (E) Die germanische Urgeschichte in Tacitus' Germania, Leipzig – Berlin, (1920).

Parzinger (P) Beiträge zur Kenntnis der Entwicklung des ciceronischen Stils, Erlangen, (1910).

Plass (P) Wit and the writing of history: the rhetoric of historiography in imperial Rome. Madison, 1988.

Pöschl (V) Tacitus. Darmstadt, 2nd edn, (1986).

Radista (L) Julius Caesar and his writings, ANRW, 1,3, (1973), pp. 417- 456.

Rasmussen (D) Caesars Commentarii Stil und Stilwandel am Beispiel der direkten Reden, Göttingen, (1963).

Rubenbauer (H), Hofmann (J.B.) Lateinische Grammatik, München , (1977).

Schmidt (L) Zur Kimbern – und Teutenfrage, Klio 22, (1929), pp. 95-104.

Schmitt (H) Der Pannonische Aufstand des Jahres 14n. Chr. und der Regierungsantritt des Tiberius, Historia 8, (1958).

Sinclair (P) Tacitus the sententious historian: a sociology of rhetoric in Annales 1-6, University Park, Penn. 1993.

Straub (J) De tropis et figuris, quae inveniuntur in orationibus Demosthenes et Ciceronis, Progr. Aschaffenburg, (1883).

Syme (R) " Caesar, the Senate and Italy", Papers of the British School at Rome, 14, (1938), pp. 1-31.

Timpe (D) Caesars gallischer Krieg und das Problem des römischen Imperialismus. Historia 14, (1965), pp. 189 – 214.

Voβ (B.R)	Der pointierte Stil des Tacitus, Münster , (1980).
Wallace . Hadrill	" The emperor and his virtues " , Historia 30, (1981), pp. 298-323.
Walser (G)	Bellum Heleveticum. Studien zum Beginn der caesarischen Eroberung von Gallien , Stuttgart, (1998).
Woodman (A.J.)	Tacitus Reviewed. Oxford, (1998).